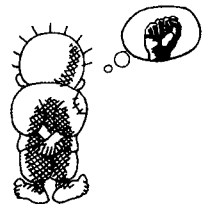

المشاركون (ألفبائيًّا)

- بيسان عدوان
- ماجد كيّالي
- ناريمان عامر

فلسطين أرض وإنسان. قضيّة مشتعلة منذ ثلاثة وستين عامًا. وهي قبلها كانت شهدتْ فصولاً من الصراع مع الانتداب البريطانيّ والحركة الصهيونيّة ما يقارب أربعة عقود. واليوم تشهد فلسطين ثوراتٍ عربيّةً، غيرَ مسبوقة، على النظُم السياسيّة العربيّة، الأمرُ الذي يعيد طرحَ القضيّة الفلسطينيّة من جديد، لسببين رئيسين: استشراف الفضاء الإقليميّ الجديد ومدى تأثيره في هذه القضيّة؛ واستشراف مسار علاقات الدول التي جرت، وتجري، فيها هذه الثوراتُ، مع الكيان الصهيونيّ.

وإذا كان الموضوعان ينتميان إلى قضيّة واحدة من وجهة نظر المنحازين إلى فلسطين، فإنّ لكلّ منهما خصوصيّته في سياسة الدول. فخلافًا لما يجري تسويقُه عن «تقديم التضحيات» من أجل فلسطين المحتلة وحدها، تعيش الدولُ المحيطةُ بها تناقضاتِها الخاصة مع «إسرائيل،» الناتجة من دور الأخيرة الوظيفيّ، ومصالحها العدوانيّة. وغالبًا ما أساءت الدولُ العربيّة التي تخوض صراعًا مع هذا الكيان توضيحَ أسبابها الخاصة، فأصرّت على تعليل دعمها للمقاومة بمُثلٍ وأخلاقيّاتٍ عموميّة. وهذا ما دفع بعضَ المعارضات إلى التبرّؤ من الصراع نفسه، وإلى تقديمه بوصفه «عبئًا» زائدًا عن الحاجة. ونحن ندّعي أنّ تجربة الاستبداد أساءت إلى فلسطين حين صادرت العمليّة السياسيّة والتطوّر الديمقراطيّ، وحرمتْ شعوبَها آليّاتِ مواجهة إسرائيل، ومنها وعيُ أسباب الصراع. وهو ما يجعلنا نعتقد أنّ الثورات في المنطقة، بالرغم من تركيزها على أولويّاتها الوطنيّة، بل بالضبط لتركيزها على أولويّاتها هذه، ومنها استعادةُ الشعب لمشاركته السياسيّة، مصلحةٌ كبرى لفلسطين. فالثورة، من بين أمور عدّة، ستسمح للناس بفهم مصالحهم، وبإدراك المخاطر والعوائق التي تهدّد مسيرةَ النماء التي يحتاجون لها. ولأننا نرى في الثورة صيرورةً تُطْلق روحَ المجتمع، وتزيد من حماسه للحقوق، فإننا نجد أنّ هناك أجواءً أكثرَ إيجابيّةً مقبلة ستكون ملائمةً لحركةٍ وطنيّةٍ فلسطينيّةٍ جديدةٍ إن استطاع الشعبُ الفلسطينيّ التقاط الفرصة وبلورتها.

❖ ❖ ❖

الثورة الجوّالة في المنطقة هي تحطيمُ الشعوب للعوائق التي تراكمتْ حتى غدت سدّاً لا يمكن تجاوزُه بالوسائل السياسيّة. وتطلق الشعوبُ قبل الثورة، وفي سياقها، الحلمَ من عقاله. أما بعد إحراز النصر، فيتبيّن لها أنّ أمامها الكثيرَ للخلاص من الإرث الثقيل الذي خلّفته النُّظمُ السابقة: من فشلٍ اقتصاديّ، وإفسادٍ عميم، وثقافةٍ رجعيّة (وإنْ صيغت بلغة «تقدميّة»).

ومحورُ البناء الجبّار الذي تدشّن الثورةُ ورشةَ العمل فيه، إنما هو الحقُّ الفرديّ والجماعيّ. ويمْكن أن يطاول التغييرُ الجاري العلاقاتِ ضمن المجتمع، ومع المجتمعات المحيطة، وأن يصل إلى تمازجٍ أفضل، في الوقت الذي تجري فيه قوننةُ الخصوصيّات بحيث تصبح عاملاً تقدميّاً لا خطرًا داهمًا يبرّر الاستبداد.

وضمن هذه البيئة نجد أكثرَ بدهيّةً أن يتمّ التعاملُ مع القضيّة الفلسطينيّة بطريقةٍ تكفّ عن الفصل بين محبّة فلسطين من جهة، وظلمِ الفلسطينيين داخل المجتمعات العربيّة من جهةٍ ثانية كما حدث في الكويت ردّاً على موقف عرفات الداعم لصدّام في غزوه لها، وكما يحدث في لبنان من تجاهلٍ للحقوق المدنيّة للشعب الفلسطينيّ هناك، وغير ذلك من الأمثلة.

❖ ❖ ❖

ألهمت الثوراتُ العربيّة الشبابَ الفلسطينيّ، بالرغم من العمل الدؤوب الذي تقوم به السلطتان الفلسطينيتان تحت الاحتلال لكبح حركتهم المتنامية من أجل المشاركة السياسيّة. ويتنامى الأملُ بين صفوفهم في أن تؤثّر الثوراتُ العربيّة، القائمةُ على الحريّة والحقّ، تأثيرًا إيجابيّاً في القضيّة الفلسطينيّة التي أُسر التعاملُ معها طويلاً في أروقة النُظُم الحاكمة، ودهاليز أجهزتها الأمنيّة.

سنحاول في هذا الملفّ تسليطَ الضوء على واقع القضيّة الفلسطينيّة وعلاقتها بالتحوّلات العربيّة الثوريّة الجارية، استمرارًا على نهج **الآداب** الملتزم، منذ تأسيسها عام ١٩٥٣، بهذه القضيّة.

دمشق